

# استراتيجية الفداء

بقلم عبدالقادر ياسين

العبيدي ، اتسعت الارض التي يدافع عنها الانسان لتشمل كل ارض السيدة . ثم ازداد الاتساع ليشمل الاقطاعية في المجتمع الاقطاعي ، ثم الولاية او الامارة ، واخيرا الوطن وذلك مع افول المجتمع الاقطاعي وبداية المجتمع الرأسمالي .

ومنذ بدء مرحلة الاستعمار ، خاضت الشعوب في البلدان التي اصبحت هدفا للاحتلال والاستعمار ، حروبا باسلة غير متكافئة للذود عن اوطانها . وسمعا العديد من قصص بطولة وفداء سطرها ابناء تلك البلدان ، من الهند والصين شرقا الى مراكش والجزائر غربا ، ومن بلاد الشام شمالا الى جنوب افريقيا جنوبا . . كما قرانا الكثير عن التضحيات الهائلة التي قدمها نوار اميركا اللاتينية لطرد المستعمرين الاسبان والبرتغال من اوطانهم في القرن الماضي .

ومع كل دين جديد لا بد من ظهور عمليات تعذيب وقتل للعديد من معتنقي ذلك الدين . . . فمع ظهور المسيحية ، تفنن الاباطرة الرومان في تعذيب وقتل ابناء ومريدي الدين الجديد ، واعطى اولئك اروع الامثلة على التمسك بالعقيدة والاستشهاد دونها ، وتفضيلهم مصارعة الاسود ، وملافاة الافاعي والحيوانات المفترسة والموت ببسب مخالبتها وانباها ، على ان يتنكروا لدينهم ، الذي وقع منهم في سويداء القلوب ، فحق لهم ان يضعوه في حدقات العيون .

كما كان لنا المسلمون الاوائل القدوة في الاستشهاد من اجل المبدأ ، وقصص تعذيب واستشهاد الكثيرين من عبيد قريش على يد شرفائها لا زالت ماثلة في ضمائرنا .

## في فجر الاسلام

ولشعراء العرب - في صدر الاسلام وضحا - الكثير من القصائد التي تحض على الفداء ، لعل من ابرزها تلك القصيدة للمثنبي ، والتي يقول في احد ابيانها :

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تعيش جبانا  
وقول قطري بن الفجاءة :

وما للمرء خير فسي حياة اذا ما عد من سقط المتاع  
وقول شاعر عربي آخر :

فاقتني حياة لا ابالك ، واعلمي اني امرؤ ساموت ان لم اقتل  
اما ابو بكر الصديق ، فهو القائل « احرص على الموت توهب لك الحياة » .

ولعلي بن ابي طالب ماثورة في البسالة والفداء ، حيث يقول :  
« والله ما ابالي ادخلت على الموت ، او خرج الموت الي » .

وما قالته اسماء بنت ابي بكر لابنها عبد الله بن الزبير ، حين خاف من تمثيل « الحجاج بن يوسف الثقفي » بجثته بعد قتله ، ما زال مضرب الامثال في رباطة الجاش ، وعدم الاهتمام بمصائر الافراد في مقابل الانتصار للعقائد والمبادئ ، حيث تقول له : « يا بني ، ماذا يصير الشاة سلخها بعد ذبحها » ؟

وحين تتفاقم الازمة في صفوف المسلمين ابان خلافة علي ، تطلع

ما ان سمع بما اقترفه ابن اخيه ، حتى القى بنفسه طعما لأكبر البراكين الثائرة في اليابان ، هربا من العار الذي لحق بالعائلة ، بفرار ابن اخيه - وكان قائدا في الجيش الياباني - الى صفوف اعداء بلاده الروس .

وكانت المفاجأة الاولى ، حين تسلس القائد المذكور عائدا الى بلاده ، عشية انتهاء الحرب ، بعد ان لعب دورا هاما في تصليب اعدائه ، مما الحق بجيوشهم انكر الهزائم .

وكانت المفاجأة الثانية ، حين كشفت السلطات اليابانية النقاب عن علم الهم المنتحر بالهمة الوطنية لابن اخيه ، ورغبته في تأكيد خيانة ابن الاخ الهارب ، بالانتحار !

حدثت تلك الواقعة قبل اكثر من ستين عاما ، حين اشتعلت الحرب بين روسيا واليابان عام ١٩٠٤ . وبالرغم من بعد زمان تلك الواقعة عنا ، الا انها تلح على خاطري كلما جاء ذكر الفداء والتضحية ، لما تعطيه من نموذج مكثف للفداء ، يتعدى حد الخيال .

## ما الفداء !

الفداء هو استعداد المرء للتضحية من اجل فناعاته ، ومثله ، ومعتقداته . ويعني - لغويا - احلال شيء مكان شيء اخر حماية له ، او تعويضا عنه .

والفدائية الاصيلة لا بد وان يكون حافظها نبیلا ، كايما عميق بعقيدة ، او حب شديد لوطن ، او غيرة على حرمة . والفداء غير التهور والاندفاع الطائش ، ولا بد من اقترائه بعقيدة ، وطنية كانت ام طبقية .

ويختار المناضل طريق الفداء بملء ارادته وحريته ، ودونما ضغط خارجي . . . وهذا « ريجي دوبريه » يؤكد : « ولا يستطيع اي رجل ان يامر اي رجل اخر ان يضحي بنفسه في سبيل الحرية ، لان الرجال لا يضحون براحتهم ورفاهيتهم وباولادهم وبنور النهار ، ولا يموتون ، بناء على اوامر من اي انسان . وانما من اجل عقيدة يختارونها ولا يتخلون عنها » (١) .

ولا يصيب دم الشهداء هباء ، اذ يمتلئون لشباب بلادهم انيسل الالهامات ، واطهر الحوافز لمزيد من البسالة والجسارة ، مما يجدد دم الثورة ، ويضمن لها الاستمرار والتدفق . « وهناك رجال يكونون اكثر خطرا في مهاتهم منهم في حياتهم ، حتى ولو ان اولئك الذين يخافونهم يقطعون ايديهم من اجسامهم ويحرقون جثثهم ويخفون رمادها » (٢) . كما « ان العنف ، كحربة آخيل ، يمكن ان يلام الجروح التي يحدثها » (٣) .

والفداء قديم قدم الصراع الذي فجرته الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، والتي كانت افرازا طبيعيا للمجتمعات الطبقية ، التالسية للمشاعية البدائية . وكان الفداء هنا ذودا عن الارض ، ثم ارتقى الى الانتصار للعقائد ، ثم عادت الارض لتكون الدافع الاول للفداء ، وفي يومنا هذا تشكل الارض والعقيدة معا والدفاع عنهما والانتصار لهما الحافز الاساسي للفداء والتضحية .

فمع نشوء الملكية في التاريخ ، انعمت الرغبة في الاقتناء وتوسيع الملكية عند الاقوياء من البشر ، وفي المقابل استمد الآخرون للذود عن مزارعهم التي تقيم اودهم وتحميهم . ومع اتساع رقعة الملكية الخاصة لوسائل الانتاج فسي المجتمع

(١) ريجي دوبريه ، مرافعة امام المحكمة العسكرية في بوليفيا ،

الطبعة العربية ، ص ٦١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٢ .

(٣) سارتر في مقدمة ( معذبو الارض ) لفرانز فانون ، ص ٣٨ .

علينا « الخوارج » ، كفرقة فدائية تمثل التيار المتشدد في الاسلام ، ويخرج انصارها طالبين الموت دون عقيدتهم .  
ويسارع ابو عبيدة الجراح للالفة الفرس ، مفاوما يجعل النهر من خلفه ، محرضاً جنده على طلب الشهادة ، قائلاً لهم : « يجب ان لا يكونوا اجراً على الموت منا » .

### الحرب الفدائية في الاسلام

كثيرة هي صور الفداء في صدر الاسلام ، سواء في اشكالها الفردية او الجماعية . واساطير خالد وعلي وبن الخطاب وغيرهم من شجعان المسلمين اكثر من ان تحصى . والشهيد الحسين بن علي ، حين لم يكن يطلب منه اكثر من لوي لجام ناقته ، ليضمن بعد ذلك حياة نائمة رغبة ، فضل الاستشهاد في سبيل المبدأ ، وخاص بالعثرات القليلة من رجاله الحرب ، ليفدي بروحه العقيدة التي طالما آمن بها ودعا اليها .

وكان سيف الدولة الحمداني امير حلب (القرن العاشر الميلادي) ينظم فرق الفدائيين لتخوض « حملات القفز » لمباغثة قواعد الاعداء في قمم الجبال المتفرقة ، وتسحقها .

اما صلاح الدين الايوبي ، فقد نظم - بالاضافة لجيشه النظامي - الجيش « المطوعة » ، وقوامه من المتطوعين الذين يتسلحون ذاتياً ، ويخوضون المارك الانتحارية في الصفوف الخلفية للاعداء .

وقد استنخلص المسلمون الاوائل الشروط اللازمة لنجاح العمل الفدائي ، من خلال تجاربهم النصالية . وهي لا تكاد تختلف كثيراً عن شروط العمل الفدائي المعاصر ، وهي :

- ١ - الدأب وطول النفس ، وهذا خالد بن الوليد يسير بيسن صفوف مقاتليه ، قائلاً لهم : « ان الصبر عز ، وان الفشل عجز » .
- ٢ - السرية ، وكان الرسول يوصي جنوده وقادته على ضرورة استخدام « الرسائل المغلقة » .
- ٣ - الايثار ونكران الذات وعدم المباهاة .

٤ - الاستطلاع الواسع ، وهذا علي بن ابي طالب يوصي ابنه محمداً ، حين سيره على رأس حملة عسكرية : « ارم ببصرك اقصى القوم » . وعمر بن الخطاب يقول لقائده سعد بن ابي وقاص « تعرف الارض كلها معرفة اهلها » و « اذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك امرهم » .

٥ - الخداع ، وهذا محمد يقول : « الحرب خدعة » .

٦ - المبادرة والمباغثة ، وللرسول وصية لاحد قادة سراياه يقول له فيها : « اغر عليهم قبل ان تتلاقى عليك جموعهم » .

٧ - حماية ظهر العمل الفدائي ، والرسول يقول في ذلك : « من جهز غازياً فقد غزا ، ومن خلف غازياً في اهله بخير فقد غزا » .

ويحدد النبي الاشياء التي تستوجب الفداء ، فيقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد » .

### الفداء اليوم

واذا كان جيفارا المثال الحي - اليوم - للايثار والتضحية وروح الفداء ، فان قصصاً بطولية كثيرة قد سبقته . الا ان ايا منها لم يصل الى مستوى جيفارا في تضحيته ، وهو الذي تنازل - بمحض اختياره - عن مركزه كوزير وشخصية مرموقة في كوبا ، ليخوض غمار حرب فدائية في بلد ليس وطنه ، ويستشهد فيه ، بعد ان عانى الكثير من الجوع ، والبرد ، ومرض الربو ، وخيبة الامل في بعض من كان ينتظر منهم مؤازرته في بوليفيا !

وكانت الاحتكاكية اليابانية قد تمكنت من تسخير ابناء الشعب الياباني لخدمة اغراضها التوسعية ، مضللة اياهم بانهم انما يهوتون في سبيل « الميكادو » ، وانهم سيبعثون - لذلك - من جديد ! لذا فقد تميز الطيارون اليابانيون - ابان الحرب العالمية الثانية - بفدائية منقطعة النظير ، فقد كان الطيار منهم اذا عجز عن تدمير سفينة حربية

معدية سرعان ما يهوي بطائرته في مدخنة السفينة ، لتنفجر طائرته والسفينة معا .

ومن القصص الفدائية المثيرة ، قصة الملحق العسكري الياباني في موسكو ، ابان الحرب العالمية الثانية ، والذي كان مشار شكوك المخابرات السوفياتية ، مما دفعها الى اعتباره شخصاً غير مرغوب فيه . وكان قبل طرده من موسكو قد سلم المخابرات السوفياتية خرائط ومعلومات تكشف مواقع ، وكثافة ، ونوعية القوات اليابانية ومعداتها ، الا ان المخابرات السوفياتية لم تعر تلك الخرائط والمعلومات اي اهتمام ، نظراً لشكها في مقدمها . وعاد الملحق الى بلاده ، وفوجيء السوفيات بالحكومة اليابانية تقدم ملحقها المذكور ، بعد ان ادانتها بالخيانة العظمى ، ولم يحتمل والده ، عضو مجلس الشيوخ ، الصدمة فانتحر . وهنا اسرع العسكريون السوفيات الى الخرائط والمعلومات التي كانوا قد اهلوها . واستعانوا بها في اعداد هجومهم على الجبهة اليابانية . الا انهم اكتشفوا - اثناء المارك - ان تلك الخرائط والمعلومات كانت خادعة ووهمية ، مما انزل بالجيش السوفياتي خسائر جسيمة . وقد اتضح لهم في اعقاب المارك التي خاضوها مع الجيش الياباني ، ان الملحق لم يكن خائناً لبلاده ، وان الحكومة اليابانية منحتة ووالده وسام الشمس الفضية ، اعترافاً لهما بوطنيتهما وجسارتهما وتضحيتهما في سبيل انتصار وطنهما !

وتزخر المسيرة الكبرى في الصين بالكثير من مواقف البطولة والفداء ، لعل اشهرها ما فعله جنود الجيش الاحمر عندما اقتربوا من نهر يريدون عبوره ، ولا تصل حافتي النهر اية جسور ، بل وعلى الحافة الثانية كان جنود الكومنتانغ يتأهبون لاقتناص الصيد الثمين . وفجأة تشابك بعض الجنود الاحمر ، كالحلقات ، من حافة الضفة الاولى حتى حافة الضفة الثانية للنهر ، ولم يفعل جنود الكومنتانغ ، امام هذا العمل الجسور ، الا ان اطلقوا لسيفانهم العنان ، بعد ان اطلقوا طلقات متفرقة على ذلك الجسر البشري !

وفي صباح الثالث من تموز ( يوليو ) عام ١٩٤١ - أي بعد احد عشر يوماً من بدء الهجوم الالمانى - وجه ستالين نداءه الى شعوب الاتحاد السوفياتي ، كي تقيم في المناطق التي يحتلها النازيون (وحدات من الانصار ، راجلة وخيالة ، وتنظم جماعات للتشيت ، معدة لقتال القطعات المعادية ، وللشروع في حرب العصابات بتدمير الجسور والطرقات ، وقطع خطوط المواصلات الهاتفية والتلغرافية ، وحرق القابات وتدمير المستودعات والقطارات . وينبغي ان تصبح الحياة في المنطقة المحتلة غير ممكنة للعدو او للمعاونين معه . ينبغي ان يطارد العدو ويدمر اينما وجد ، كما ينبغي نسف وعرقلة كل التدابير التي يأمر بها » .

ويحدد احد قادة الانصار المهام التي كانت موكلة اليهم ، بانها « .. الاستطلاع في المدن ومحطات الخطوط الحديدية الهامة . وكان ينبغي تحري اخبار العدو وتبليغها الى موسكو : المعلومات عن قوائمه ، واماكن وجود المصانع الحربية والمستودعات ومراكز القيادة ، ومعرفة عدد واتجاه قواته واسلحته ، ومعرفة كل اسرار الالمان العسكرية . والى جانب هذا كله كان ينبغي ان تكبد الالمان اضراراً انى تسمح لنا فرصة ذلك » (٤) .

لقد لعب الانصار السوفيات دوراً هاماً في دحر النازيين الالمان وهزيمتهم .

ويوميات « جوبلز » توضح لنا مدى اهمية وفعالية الانصار السوفيات ، اذ يقول :

« ٢٩ نيسان ( ابريل ) ١٩٤٢ - يتطور خطر الانصار في المنطقة الروسية المحتلة بسرعة متزايدة ، فلقد عانينا كثيراً من الصعوبات خلال الشتاء ، الا ان هذه الصعوبات لم تنته بظهور الربيع . فعلى الجبهة

(٤) « كان هذا في ضواحي روفنو » ، ديمتري ميدفيدوف ، ص

الوسطى ، نسف الانصار الخط الحديدي في عدة اماكن بين بريانستك وروسارو . ان نشاطهم يثير الحيرة والاضطراب ( ( ٥ ) .

والصراخ الهسينري الذي يطلقه الاسرائيليون ، عند اصطدامهم بقوة من الفدائيين :

- فدائيم استسلم !

ويرد الفدائي عليهم :

- الفلسطيني لا يستسلم .

يذكرنا هذا الديالوج المثير ، الذي طألا دار بين الجنود الالمان والانصار السوفيات ، حين كان يصيح الالمان :

- استسلم ، ايها الروسي !

فيجيبهم الانصار وهم يطلقون النار :

- البلاشفة ابدا لا يستسلمون .

ونسجت الحرب الفيتنامية ضد المستعمرين الفرنسيين اروع اساطير البسالة والعداء . وما هم الفلاحون البسطاء - اثناء معركة ديان بيان فو - يلقون احزمة الديناميت حول اجسادهم ، ويقتحمون بها خطوط الاعداء لفتح الثغرات في حصون « ديان بيان فو » وتمكين قوات الفيت منه من اختراق القلعة واحتلالها .

وكان هؤلاء البسطاء يموتون من اجل حياة سعيدة لابنائهم وللجيال القادمة من ابناء شعبهم .

اما قصص بطولة الشعب الفيتنامي اليوم ، فلا زال تدفقتها يفقدنا القدرة على ملاحظتها وتصويرها .

ولمائة وثلاثين سنة ظل الشعب الجزائري يقدم الشهداء قوافل في قوافل ، مسجلا بذلك اصدق آيات الفداء من اجل الارض والوطن . والاصرار في التجربة الكوبية على تخليص البلاد من حكم العميل « باتيستا » ، لا يقل في روعته عن التضحيات العظيمة التي قدمها ابناء الشعب الكوبي لتحرير وطنهم وبناء الاشتراكية فيه .

### الفداء في فلسطين

|                   |                    |
|-------------------|--------------------|
| صامت لو تكلمنا    | لفظ النار والدماء  |
| لل لمن عاب صمته   | خلق الحزم ابكما    |
| واخو الحزم لم تزل | يده تسبق الفما     |
| لا تلموه قد راي   | منهج الحق مظلما    |
| وبالادا احبها     | ركنها قد تهديما    |
| وخصوما ببفهم      | - ضجت الارض والسما |

بهذه القصيدة يصور لنا الشاعر الفلسطيني « ابراهيم طوقان » الفدائي الفلسطيني ، ولماذا اختار طريق الفداء .

اما الشاعر الفدائي « عبد الرحيم محمود » فقد انخرط في سلك الثوار عام ١٩٣٦ في فلسطين ، وبعد فشل الثورة بلجا الى العراق ، وهناك يقول قصيدته التي يبث فيها بلاده حبه وشوقه :

يا بلادي يا منى قلبي تسلمي انت فالدينا هذر  
لا ارى الجنة ان ادخلها وهي خلو منك الاكسبر  
مني في غربتي قبل الردى ان يملى من مجاليك النظر  
ظلمت نفسي لقتاك فهل يطفئ الحرقه بالعود القدر ؟!

وتشير فيه انتكاسة ثورة ١٩٤١ الوطنية في العراق الحمية ، فيعود لمناداة ابناء شعبه :

بني وطني دنا يوم الضحايا  
افسر على ربي ارض المصاد  
فمن كيش الفداء سوى شباب  
ابي لا يقوم على اضطهاد  
ومن للحرب ان هاجت لظاهما  
ومن الاكسبر ، قدح الزناد  
فسيروا للنضال للحق نارا  
تصب على العدى في كل واد  
فليس احظ من شعب تعبد  
على الحلبي وموطنه بنادي  
ولما قامت حرب ١٩٤٨ سارع الى وداع طلبته في كلية النجاش  
بمدينة نابلس ، والتحق بجيش الانقاذ في شمال فلسطين ، وبقي هناك

( ٥ ) - ( حرب العصابات السوفياتية ) ص ٢٩ .

حتى بعد انسحاب جيش الانقاذ ، وفي الثالث عشر من حزيران (يونيو) ١٩٤٨ اصيب في « معركة الشجرة » بشظية قنبلة ، وفيما كانت السيارة تنقله الى مستشفى الناصرة سقطت في واد فاستشهد ، ولا زالت قصيدته - التي يفسر فيها ما الفداء ولماذا - لا زالت في ضمائر كل الوطنيين الفلسطينيين ، حيث يقول :

ساحل روحي على راحتي والتي بها في مهاوي الردى  
فاما حياة تسر الصديق واما ممات فيفظ العدى  
ونفس الشريف لها غايتان ورود المنايا ونيل المنى  
ارى مقتلي دون حقي السليب ودون بلادي هو المتفى  
لعمرك هذا ممات الرجال ومن رام موتا شريفنا فذا  
بقلبي سارمي وجوه الفزاة فقلبي حديد وناري لظى  
واحمي حياضي بحد الحسام فيعلم قومي بانى الفتى  
وتحرك بسالة الفدائيين في القتال حمية الشاعر معين بسيسو  
الطالب الفلسطيني بالقاهرة انذاك ، فيصدر قصيدته « المعركة » التي مطلعها :

انا ان سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

واحلل مكاني لا يخفك دمي يسيل من السلاح

وما ان يخرج الشاعر حتى يسافر الى عراقى نوري السعيد ، حيث روعته المجازر البشرية هناك ، ويعود الى غزة ليبدأ في المعاناة الحقيقية مع ابناء شعبه ، ويقول في حب بلاده قصيدة مطلعها :

يا ايادي ارسمني من دمي ومن اصفاذي خريطة لبلادي

ثم هو يطالب الامهات بتشجيع ابنائهن على البذل والنضال والتضحية ، فيقول :

من لم تودع بنيتها باسمايتها الى الزنازين لم تحبل ولم تلد  
ويشند العسف ، ويقع العدوان الثلاثي ، وتحتل القوات الاسرائيلية قطاع غزة ، وتلاحق المناضلين ، ويقع احد رفاق معين في قبضة الاسرائيليين ، وينهار ويدلي باعتراقات كاملة عن اسماء رفاقه للضابط الاسرائيلي المشرف على تعذيبه . فتتحرك تلك الواقعة المشينة معين في حينه ، ويقول قصيدته « المرتد » التي مطلعها :

اخي لو شحذوا السيف على عنقي فلن اركع

ولو في فمي الدامي جبال سياطهم تنقع

فلن ارجع عن فجري ، لن ارجع ، لن ارجع

من الارض التي من ثديها بركاننا يرضع

اخي ، لو جرنى الجلاد قدامك للمذبح

لكي ترقع ، ترجوه بان يعفو وان يصفح

اخي ، ارفع رأسك الشامخ كي تشهدني اذبح

لكي تشهد جلادي ، والسيف الذي يرشح

اخي ، من يفضح الجلاد ، غير دماننا نفضح

\*\*\*

ولقد كان الفداء قد طبع المقاومة الفلسطينية للاحتلال البريطاني ، فمنذ عام ١٩١٨ والهبات والثورات تتوالى في استمرار متقطع في فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية ، فمن هبة ١٩٢٣ ، الى هبة ١٩٢٩ ، الى ثورة القسام ١٩٣٣ ، الى الثورة الوطنية الكبرى ، والتي امتدت من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ ، وكان الفداء هو الخيط الذي يتخلل كل تلك الهبات والثورات .

وكان الشعب يقدم الشهداء اخلاصا منه لمبادئه الوطنية ، ودفاعا منه للارض التي تكالبت عليها الصهيونية والاستعمار البريطاني . الا انه يجب الاعتراف هنا ان القيادات الفلسطينية انذاك كانت عاجزة - بسبب طبيعتها الرجعية وقصورها الفكري - عن وضع استراتيجية للثورة الفلسطينية ، مما جعل الاحداث تتقاذفها ، واهدر الكثير من الدماء في غير مجراها الحقيقي .

اما اليوم فان نظرية للثورة الفلسطينية تكاد ان تكتمل ، بعد ان تسلم القائلون زمام معركتهم بانفسهم ، وبعد السنوات الطويلة من

التضحيات لاكتشاف قوانين تلك النظرية . وهكذا يودع الشعب الفلسطيني مرحلة التخبط والارتجال والعجز والقصور في المجالس النظرية والعملية ، والتي دامت أكثر من خمسين عاما ، دفع فيها الشعب الثمن غالبا .

وهذا ياسر عرفات ، في حديث له مع مجلة « جون أفريك » في أوائل مايو الماضي ، يحدد هدف « الفتح » ، قائلا : « هدفنا هو ان نوجد قوة ثورية فلسطينية قادرة على التصدي لتحتدي العدو في اي مجال ، اما من الناحية العسكرية فان هدفنا هو تقطيع اوصال أجهزة الدولة المنصرية الفاشية الاسرائيلية ، ومن الناحية السياسية نريد اقامة دولة فلسطينية تقدمية ديمقراطية ، تضمن فيها كل الحقوق المشروعة لجميع السكان » .

وفي حديث له مع جريدة « الجمهورية » القاهرة ، قال احد قادة الفدائيين : « .. ورسما منذ البداية خطنا السياسي على اساس تحرير فلسطين وبناء مجتمع ديمقراطي تقدمي يحفظ للانسان فيه حقه الطبيعي في العيش دون تمييز في الدين او العقيدة » .  
« والجهة الوطنية مطلب شعبي ، وشعار ثوري لا بد ان يتحقق من خلال الفعل والممارسة ، وليس من خلال عمليات تنسيق ولقاء مظهري بهدف المشاركة في تسيير دفة النضال وليس المشاركة بالعمل في القواعد » .

و « .. خلق الجبهة العربية المساندة للثورة الفلسطينية المسلحة » . « ولا يكفي ايها الرفاق ان نخلق تيارا فضفاضا يؤمن بصحة اتجاه ثورتنا ، ولا بد ان يتبلور هذا التيار في شكل منظمة » .  
« وحددنا اهدافنا بما يلي :

١ - تحرير فلسطين تحريرا كاملا من الاحتلال الصهيوني .  
٢ - تصفية دولة الاحتلال الصهيوني سياسيا وعسكريا واجتماعيا وفكريا .

٣ - اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، تحفظ للمواطنين الاصليين حقوقهم الشرعية دون تمييز في الدين او العقيدة .  
٤ - بناء مجتمع تقدمي على اساس ديمقراطية شعبية عادلة .  
٥ - ضمان حقوق الانسان والحريات العامة لكافة المواطنين .  
٦ - المشاركة الفعالة في تحقيق اهداف الامة العربية وبناء المجتمع العربي التقدمي الموحد .

٧ - مساندة الشعوب المضطهدة في تحرير اوطانها وتقرير مصيرها من اجل بناء صرح السلام العالمي على اساس عادلة » (٦) .  
وتمثل تلك البنود السبعة - في رأيي - الطرح الصحيح لقضيتنا الوطنية . وبدون الوضوح السياسي ، وبدون خط سياسي وخط عسكري صحيحين فان دم الشهداء سيهدر عبثا ، ودم الشهيد - كما يقول ريجي دوبريه - ليس حجة سياسية .

وقد ادى الطرح الصحيح لقضيتنا الوطنية الى اعادة ترتيب قوات الثورة ، وتغيير مواقعها ، لياخذ الشعب الفلسطيني موقعه الصحيح كطليعة للتحرير ، بعد ان ظل طوال عشرين عاما تحت وصاية الزايدين والساميين من الزعماء العرب ، مبعدا عن مكانه الصحيح وخذفه الاصيل .

ويكتسب العمل الفدائي الفلسطيني اليوم اهميته ، ليس فقط في طرحة الصحيح للقضية الفلسطينية ، بل باعتباره اول عمل شعبي بحث يجري لطرده المحتل الاجنبي من الارض العربية . صحيح ان صلاح الدين سبق وجهد الحملات لطرده الصليبيين ، ونجح في ذلك ، الا انه فعل ذلك من موقع السلطة .

ومما يزيد في اهمية دور العمل الفدائي - ايضا - انه يعمل لتعظيم اطماع الصهيونية ، التي يسيل لعابها لابتلاع مزيد من الاراضي العربية ، بعد ان قاربت على الانتهاء من هضم كل فلسطين !  
كما ان العمل الفدائي ، لا شك ، يحدث الكثير من التغييرات في

مواقع العديد من الطبقات والفئات في البلدان العربية ، ويجعل في انصاج الظروف الثورية في البلاد العربية .  
ويمنع العمل الفدائي بعض القادة العرب من التوصل الى تسويات ومساومات مع الصهيونية والاستعمار ، بما يشكله من تهديد لانظمة اولئك القادة .

هذا بالإضافة الى ما احدثه من تغيير في نظرة اجزاء ليست بالبيسطة من الرأي العام العالمي تجاه فلسطين وشعبها .. حيث اوضح العمل الفدائي ان قضيتنا الوطنية هي قضية تحرير وطني وليست « قضية لاجئين » ، وان شعب فلسطين قد نبذ الى الاسد الديكور الاستعماري ، الذي حوله - لاكثر من ثمانية عشر عاما - الى شعب لاجئ يستحق العطف وفتات الموائد !  
ولزيادة دور وفعالية العمل الفدائي الفلسطيني ، لا بد له من :

١ - ان يأتي انعكاسا لوحدة وطنية شاملة ، بما يحقق وحدة البنادق على ارض المعركة .

٢ - الارتباط بالمعركة النظامية العربية .. التمهد لها ، ومؤازرتها .

٣ - التركيز على بناء المزيد من القواعد داخل الوطن المحتل .

٤ - اقامة العلاقات وتمتينها مع الحركات الوطنية العربية ، والتنظيمات التقدمية في العالم .

٥ - منح العمل السياسي - محليا وعاليا - مزيدا من الاهتمام ... اذ تزداد امكانية نجاح العمل الفدائي بدعمه بمقاومة سياسية صائبة ونشطة .

٦ - تجنب تجميع قوات الفدائيين في قواعد ثابتة .  
وإذا كان العمل الفدائي هو الان الشكل الاساسي للنضال في الوطن المحتل ، فان نشوب معركة نظامية بين الدول العربية واسرائيل ، يعني ان يصبح العمل الفدائي العامل المساعد للحرب النظامية ، في حين تصبح تلك الحرب والعمل السياسي هما الشكل الرئيسي للنضال من اجل التحرير وتعظيم جهاز الدولة الاسرائيلية .

## عبد القادر ياسين

(٦) من حديث لبشير المغربي الى الكاتب المصري طاهر عبد الحكيم (الجمهورية) ايار ( مايو ) ١٩٦٨ .

زوروا

مكتبة الفجر

بواد مدني - السودان

ص. ب ٣٥١ - تلفون ٥٥٧

كتب علمية وسياسية وأدبية